المحاضرة الأولى الرواية العربية

تتضارب النظريات و تختلف حول اعطاء تعريف عام لمفهوم الرواية ،لأن الجنس الروائي مازال في طور التشكل و التكوين ،يرى النقاد أن جنس الرواية جنس أدبي نثري يقوم على الحكي القصصي المرتكز على الخيال ،كما ذهب هؤلاء الى ربط هذا الجنس بالمجتمع الغربي و نشأة النظام الرأسمالي و صعود الطبقة البورجوازية و هيمنة قيمها.

تقدم الرواية رؤية انسانية لقضايا البشر و أزماتهم ،و جوهر هذه الرؤية يتمثل في البحث عن القيم الأخلاقية التي توفر التوازن للإنسان و هو يواجه الصراع ،و يحاول مستميتا التوصل لتثبيت قيمه التي يؤمن بها و يراها وسيلة استمراره في الحياة.

الرواية جانب من التراث الفكري الذي يمثل الجانب الروحي للأمة ،و النقاد يقومون بالبحث عن جماليتها و قيمها التي تمثل عناصر استمرارها و لحظات نموها. حيث أصبح الجنس الروائي سجلا ثقافيا هاما يصور الهموم الحقيقية و الأحاسيس الصادقة التي يعيشها الانسان في واقعه المعقد الذي ولدته الظروف الحضارية الجديدة ،فكل تنظيم للمجتمع يستتبع بتشكيل جديد للفن القصصي يعبر عنه و يتفق مع آفاق المجتمع.

طبيعة الرواية طبيعة نوعية تتمثل في مرونة بنيتها السردية التي تجعلها قادرة على ان تعكس حياة الانسان و صراعاته بكل أشكالها و ذلك لاحتفالها بالتفاصيل الجزئية و كل ما يمكن أن يصدر ضمن التجربة الانسانية المتخيلة و المصورة للمجتمع حيث أنها ترتبط بعلاقة حميمية مع الواقع الاجتماعي.

تقدم الرواية صورة موازية رمزية للواقع الحقيقي متوغلة في أعماق الشخصية الانسانية و محيطة بالمواقف الانسانية المختلفة ،و بذلك أصبحت الرواية أساسية في منظومة الثقافة المعاصرة ،و أصبحت هي المعبّر عن الواقع العام و الخاص الاجتماعي و الذاتي في آن واحد.

الرواية عمل سردي متخيل يتضمن مقومات عديدة منها : الأحداث و الوقائع مسترسلة فيها و موزعة على فصول و مرتبطة بشخصيات تتعدد وتتنوع وتحمل دلالات ،اجتماعية و فكرية و ثقافية و نفسية.

نشأة الرواية العربية:

اختلف النقاد حول نشأة الرواية و هل هي ذات صلة بالتراث أم تقليد للرواية الغربية؟

و قد اتخذت الرواية مسارات متعددة و غنية و متطورة بفعل تطور المجتمع ،فهناك من يتحمس الى أصلها العربي و يرى أنها وليدة التراث القديم و استمرارا له ،و قد درسوا الأعمال الروائية الأولى و حاولوا اثبات الصلة بين الرواية و المقامة و بقية التراث القصصي عند العرب ،و هناك من ينفي ذلك و يرى أنه لا توجد صلة بين هذا التراث القصصي و الرواية الجديدة و يرى أنها وليدة الاحتكاك بالغرب و التعرف على انتاجه و نقله الى العربية و يستند أصحاب هذا الرأي في تعليل فقدانها في الأدب العربي الى ضعف الخيال العربي و اختلاف لغة الأدب عن لغة الكلام عند العرب و انتشار الأمية في البلاد العربية قلة الأساطير و سجال الحروب و اعتزال المرأة عن التواجد الظاهر ... كل هذا أفقد الأدب العربي وجود الرواية. لذا يؤكد هؤلاء النقاد أن

الرواية العربية كشكل أدبي متطور لم تظهر في عالمنا العربي إلا مع بداية الاجتياح الأوروبي للبلدان العربية و بالتحديد مع أواخر القرن 19 و بداية القرن 20 ،اذ بدأت تبرز المحاولات الأولى للرواية عند بعض الكتاب العائدين من البعثات الطلابية خاصة من فرنسا.

و يمكن القول أن الرواية العربية الحديثة ـ حسب أغلب النقاد ـ ظهرت متأثرة بالأدب الغربي و ان كانت في بدايتها تأثرت بالتراث القديم من ناحية المادة و المضمون لكنها سرعان ما انقطعت صلتها بالتراث و تأثرت بالرواية الغربية فتراجعت المحاولات الأولى و المتأثرة بالتراث و الكثير من كتاب هذه المرحلة اهتموا بترجمة الرواية الغربية الرومانسية و تركوا الاهتمام بتطوير تراثهم مما أدى الى رفض هذا التراث القديم و قطع الصلة بينه و بين الرواية الفنية.

اتخذت الرواية مسارات متعددة غنية و متطورة بفعل تطور المجتمع العربي و ظهرت عدة روايات و انتشرت و توج التراكم الروائي بظهور العديد من الروائيين المتميزين أهمهم "نجيب محفوظ" الأب الروحي للرواية العربية.

لكن هل عرف العرب القصة بمعناها اليوم أم بمعناها الذي كان سائدا عند جميع الشعوب أي الحكي؟

- يؤكد أغلب النقاد أن الرواية بمعناها الحالي لم يعرفها العرب ولكن بمفهوم الحكي كانت موجودة لدى العرب منذ العصر الجاهلي حيث كانت لهم القصص و الأخبار حول الغزوات و الأساطير القديمة...

ـ مع مجيء الاسلام جاء القرآن بأسس القصص ،ثم ظهرت قصص الأنبياء و سيرة النبي ...

ـ ثم تطورت مع تقدم العصور الاسلامية فكان الرواة ينقلون أخبار و قصص العشاق كقصة "عنترة و عبلة" و "ليلى و الجنون" و "جميل بثينة" ....

ـ في العصر العباسي نقل الكتاب بعض القصص الأجنبية أشهرها "كليلة و دمنة" ل "ابن المقفع" حيث صار نموذجا سار على منواله الكتاب الذين صاغوا أفكارهم الفلسفية على ألسنة الحيوانات ،كذلك "ألف ليلة و ليلة" ،القصص التي اثرت في الأدب القصصي تأثيرا كبيرا.

كذلك كتاب "البخلاء " الذي ألفه "الجاحظ" و "رسالة الغفران" التي كتبها "المعري"ـ قصة موضوعها سفر خيالي الى الجنة و الجحيم و تميزت بخيال خصيب وتعتبر من الآثار النادرةـ

ـ ثم "المقامة" و هي أقرب الأنواع القصصية في الأدب العربي الى القصة الفنية الجديدة ـ قصة تدور حول مغامرات بطل يرويها راو معين غايتها تعليمية رائدها ومبدعها" بديع الزمان الهمذاني" و من أعلامها" الحريري".

ـ اضافة لهذا نرى القص واصل سيره ،و دخلت فيه "الرحلات" رحلة "ابن بطوطة " رحلة "ابن جبير" و " السير الشعبية " "سيرة عنترة " " سيرة بني هلال"....

ـ هذا الزخم من التراث القصصي لدى العرب يثبت أنهم كانوا بفطرتهم يميلون الى القصص و الأخبار و أن القصة بمفهوم الحكي وجدت عندهم منذ زمن طويل و يقول النقاد أن الغربيين في بداية نهضتهم أثر فيهم القص العربي القديم و أنهم لم يعرفوا القصة إلا بعد اطلاعهم على أمثال قصص "ألف ليلة و ليلة" و أبطالها مثل "السندباد" و "علاء الدين" و غيرهم....

بعد هذه الاطلالة العابرة على الأدب العربي القديم نستطيع القول أن الرواية الحديثة نشأت و تطورت لدى أدباء الغرب لكن اطلاعهم على التراث القصصي العربي الضخم أثر تأثيرا بارزا ـ حسب رأي بعض النقاد ـ في انشائهم لهذا الجنس الجديد الذي طوروه فيما بعد.

فالعرب بعد هجمة التتار و سقوط الدولة الاسلامية و بدء فترة الانحطاط مما أدى الى عدم حفظ هذا التراث الضخم و الثمين و عدم تطوير هذه السّرود حيث لم نجد ابداعا قصصيا متطورا.